مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

ماكس فون أوبنهايم

الرحالة الألماني الغامض

أ. د يحيي محمد محمود

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب

جامعة كفر الشيخ

ماكس فون أوبنهايم Baron Max von Oppenheim (١٨٦٠-١٩٤٦م)
رحالة ألماني ولد في كولونيا في أسرة تعمل في مجال المصارف، درس القانون في جامعاتها، وحصل على الدكتوراة عام ١٨٨٣م، والتحق بالعمل الحكومي في خدمة حكومة بروسيا وزار شمال أفريقيا عام ١٨٨٦م حيث شغف بحياة الشرق، ارتحل بعدها للقاهرة القديمة عام ١٨٩٢م، وعاش بها عدة شهور طور خلالها لغته العربية التي تعلمها في جامعة برلين، وقد مول رحلته والده الذي فقد الأمل في أن يكون مصرفياً مثله [١]، أو ربما كان له دور في فتح الباب للاستعمار الألماني، حيث توجهت البيوت المالية الكبيرة آنذاك للمساهمة – بنفسها – في فتح الأبواب للاستعمار، بعد أن كانت سياسة الحكومة الألمانية – لفترة طويلة – إغلاق الأبواب أمام الاستعمار للتفرغ للمشكلات السياسية في أوروبا [٢]، تلك السياسة التي وضع بسمارك أسسها، وهو ما دفع بالرأسمالية الألمانية لمحاولة فتح الأبواب بنفسها لدعم المصالح المالية الألمانية، وهو ما قد يفسر دراسة ماكس للغة العربية في الجامعة قبل رحلته بمدة طويلة، وحين كانت سياسة الابتعاد عن الدخول في مجال الاستعمار هي المسيطرة على السياسة الألمانية قبيل ترك بسمارك مقاليد الأمور، وقد بدأ عام ١٨٩٣ رحلته إلى سوريا والخليج العربي مارا بالعراق، في فترة شهدت محاولات ألمانية متعددة للقيام بمشروعات كبرى في الدولة العثمانية مثل خط سكة حديد بغداد[٣]، وقد عاد لألمانيا مرة أخرى عام ١٨٩٤م حيث عكف على كتابة كتابه عن رحلته للشرق، ونشر رحلته لأول مرة عام ١٨٩٩/١٩٠٠م.

عاد ماكس للقاهرة مرة أخرى عام ١٨٩٦م للعمل بالقنصلية الألمانية لمدة ثلاثة عشر عاما، قضاها في دراسة المشرق العربي، وكتب خلالها ثلاثة عشر مجلدا، تناول فيها اقتصاديات المنطقة، وتاريخ الحركات الدينية والسياسية بها، وأنساب العائلات الحاكمة، علاوة على التفاصيل القبلية والجغرافية، وهو ما يبين أنه كان يريد فتح أبواب المشرق أمام ألمانيا، وكان معاصرا ومشابها تقريبا للدور الذي لعبه لوريمر، مع فرق كبير أن لوريمر ساعده فريق كبير من الباحثين[٤]، أما هو فقد عكف بنفسه سنوات طويلة في دراسة علمية دقيقة عن المشرق، ولكن لم يحتل الخليج قدرا كبيرا من ذلك الاهتمام بل كان الجزء الأقل اهتماما.

وقد كان ماكس يقدم كتاباته للسلطات الألمانية مخطوطة لمراجعتها، كما كان يرفع تقاريره للمستشار الألماني نفسه مباشرة، وهو ما يجعل لكتاباته الطابع شبه الرسمي، وفتح الباب لتوجيه الاتهامات له، فقد اتهم بتحريض العرب على الإنجليز عام ١٩٠٩م، وقد كان موضع هجوم مباشر من قبل كرومر[٥] المندوب السامي البريطاني في مصر في أعقاب النزاع الحدودي مع السلطات العثمانية حول طابا[٦]، وتعرض لمضايقات السلطات البريطانية في مصر، بل أنه حين تقدم بطلب للسفر إلى القسطنطينية عام ١٩٠٧ رفض الطلب، وقد تبرأت منه الخارجية الألمانية في بيان صدر لها عام ١٩٠٦ جاء به أنه ليس إلا نبيلا ألمانيا مقيما بالقاهرة وليس دبلوماسيا، ومع كل تلك المضايقات بقي ماكس بالقاهرة إلى عام ١٩١٠ حين عاد لألمانيا وبعدها أصبح مرجعاً ألمانياً فيما يتعلق بالشرق الأوسط.

وظل ذلك الدور الغامض الذي قام به في القاهرة موضعا للشك من الكثير من الباحثين، ولكن ذلك الشك الذي كان مصدره بريطانيا لا يقلل من دوره، والذي إن تشابه مع لوريمر مع اختلاف الجنسيات إلا أنه يقدم للباحثين مصدرا خصبا لدراسة أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين من رؤية غير بريطانية، تمدنا بمادة دقيقة مع استخدام مقاييس منهجية أكثر صرامة في التعامل مع المادة العلمية التي أمدنا بها، شأنه شأن العديد من الباحثين الغربيين المترددين على الشرق في تلك الفترة، رغم أن رحلته في الخليج لم تستغرق وقتا طويلاً -عكس باقي مناطق المشرق العربي-، فقد قطع الخليج العربي كله على متن سفينة بخارية بريطانية، ولم يقطعها على اليابس، وهكذا جاء وصفه للمناطق التي مر بها وصف مسافر على متن سفينة بخارية، ولكنه دعم رؤيته بدراسات كثيرة استقاها من مصادر عديدة .

تهدف الورقة إلى رصد الأوضاع في موانى الخليج العربي التي مر بها ماكس فون أوبنهايم عام ١٨٩٣م وهي : بوشهر، لنجة، بندر عباس، ومسقط، ودراسة رحلته دراسة نقدية للمصادر التاريخية المستخدمة لكتابة تاريخ موانئ الخليج العربي في أواخر القرن التاسع عشر، فتتناول الورقة أوضاع موانئ الخليج كما رآها ماكس، ثم تحلل العلاقات التجارية في الخليج في ضوء ما نشره من معلومات مستقاة من المصادر الأخرى والتي لا تستند لرؤية شاهد العيان .

بوشهر :

وصل ماكس فون أوبنهايم لميناء بوشهر أول ميناء يزوره في الخليج العربي يوم ١٥ سبتمبر[٧] عام ١٨٩٣م، وفي ضوء رحلته من البصرة لبوشهر يمكن رصد عدة ملاحظات على الملاحة في الخليج العربي[٨] ، فقد سافر على ظهر السفينة "البمبا" التابعة للشركة "البريطانية الهندية للملاحة البخارية"، وهي سفينة كان قد انتهى عمرها الافتراضي منذ عدة سنوات مضت، فقد كانت الشركة البريطانية تستعمل أقدم سفنها البخارية في النقل في الخليج العربي[٩] ، وكانت تستخدم بشكل أساس في نقل الخيول العربية للهند، وهي تجارة كانت رابحة في منطقة الخليج في تلك الفترة، ورغم وصوله لبوشهر لم يسمح له بدخولها إلا بعد البقاء في الميناء في عرض البحر لمدة ٢٤ ساعة وبعد توقيع الكشف الطبي عليه من طبيب هندي نوعاً من الحجر الصحي .

أما الميناء فقد كان ميناء لا يصلح لرسو السفن البخارية ولا حتى القديم منها مثل "البمبا" السفينة التي وصل على متنها، ولكن كان على السفينة أن تبقى في عرض الخليج ونقل الركاب منها للميناء بالسفن الشراعية في رحلة استغرقت نصف الساعة، ولعل ذلك يبرر تعدد الرحلات البحرية للسفن الشراعية الصغيرة التي تنقل البضائع بين كافة موانى الخليج العربي في نهاية القرن التاسع عشر، حيث كانت الموانى لا تصلح لرسو السفن البخارية الكبيرة [١٠] .

أما المدينة نفسها فهي تقع في الطرف الشمالي لشبه جزيرة، ولا تتصل بالساحل إلا من خلال لسان صغير، وهي قليلة العرض ومنخفضة لا تكاد ترتفع عن مياه الخليج كثيراً، وقد وجد أن الظروف الصحية بها غاية في السوء؛ فالمياه الراكدة في صهاريج المدينة مليئة بالديدان ــ دودة غينيا ــ ، وشوارعها ضيقة ملتوية مليئة بالأخاديد التي يصل عمق بعضها إلى نصف المتر، وتمتد المنازل على مساحة ضيقة، وتنتشر الأكواخ في المساحات غير المبنية .

أما العناصر الزخرفية لمنازل المدينة فهي بسيطة : فنوافذها مصنوعة على طراز فارسي، تعلوه زخارف من الجبس والخشب، أحياناً ما تكون مرصعة بالزجاج، وقد وجد بعض المنازل مزودة ببراجيل (ساحبة الرياح)، وهي مخصصة لسحب الهواء لغرف المنزل السفلية، وكان قد لاحظ وجود بعضها في بغداد[١١] .

أما سوق المدينة فهو سوق بسيط أصغر من سوق البصرة، يعرض مختلف البضائع، وليس فيه ما يسترعي الانتباه، غير استمرار صناعة البنادق الفارسية التي كان ينتشر بيعها في سوق بوشهر، أما التجارة بالمدينة فكانت تجارة جملة، وكانت تجارة التجزئة محدودة، وقد برر ذلك بصغر حجم المدينة وانخفاض تعداد سكانها وسكان المناطق المجاورة لها، وأما صادرات بوشهر فقد كانت متعددة منها المنتجات الزراعية مثل : القمح، والتبغ، واللوز، والأفيون، وبعض الصناعات مثل : المنتجات الصوفية، والأسلحة، والذخيرة، إضافة للنقود .

أما السفن الشراعية بالمنطقة التي كانت مزودة بشراعين غالباً، وتبحر للهند وزنجبار بالشراع، فكانت حمولة معظمها ١٠٠ طن، وكانت معظم سفن مسقط تحمل العلم الفرنسي، ولكنه لم يذكر أنه شاهد سفن مسقط تحمل العلم الفرنسي، بل نقل معلومته استناداً إلى " ما ورد في سجلات المقيم البريطاني في بوشهر " [١٢] ، ومن الغريب أنه ينقل عن المقيم البريطاني ولا يذكر ما لاحظه هو بنفسه، وهو ما يتكرر في كثير من الأحيان كما لو كان جامعاً للمعلومات وليس مدوناً لملاحظاته؛ حيث تكرر الأمر نفسه في تعليقه على سفن العرب الشراعية بأنها " نفس السفن التي كان يستخدمها قراصنة الخليج الفارسي حتى منتصف القرن الجاري " [١٣]، رغم أنه لم يجد قرصنة، لكنه يعبر عن خلفيته عن المنطقة من واقع مصادر بريطانية .

أما تعداد السكان في المدينة فقدره باثنين وثلاثين ألفاً دون أن يذكر المصدر الذي استقى منه هذا التعداد، أو كيف قدره، وأما عن فئات السكان في بوشهر فقد قدر عدد الأرمن واليهود بالمئات، وعدد الأوروبيين يتراوح ما بين عشرين وخمسة وعشرين، معظمهم من العاملين بالمقيمية البريطانية، وأكثرهم من أصل عربي، وقد وصف النشاط التجاري الذي يمثله هؤلاء الأجانب أثناء وصفه لمطعم أرميني يقدم الطعام الساخن لرواده إلى جوار الجعة والخمور مثل الويسكي وماء الصودا، وهو ما كان لا يستطيع المسلمون ممارسته من تجارة في المنطقة، ورصد كيف أن هؤلاء الأرمن يتمتعون بالحرية في ممارسة الشعائر الدينية؛ حيث خصصت لهم في المدينة كنيسة أرمينية، وإلى جوارها كانت توجد مقابر الإنجليز الذي يلقون حتفهم بالمنطقة، أي ما يمكن تفسيره بقيام الأرمن برعاية الأمور الاجتماعية للبريطانيين بحكم الاشتراك معهم في الدين .

وقد رصد النشاط التجاري الألماني ببوشهر، وكيف بدأ بخط ملاحي بين بوشهر وبريمن في ألمانيا، لكنه أُهمل وتوقف بسبب انتشار الطاعون في الهند، وقد تم إحياء هذا النشاط التجاري من خلال شركة هاينكه وشركاه في بوشهر، وهي الشركة التي أسسها القائد السابق للباخرة بلوبيوليس، أما النشاط الدبلوماسي الألماني في بوشهر فقد تمثل في وجود نائب قنصل لألمانيا في بوشهر منذ عام ١٨٩٧ [١٤] ، غير أنه لم يكتب لنا شيئاً عن زيارته لنائب القنصل هذا في بوشهر؛ حيث زار المقيمية البريطانية في بوشهر وقابل العديد من البريطانيين لكنه لم يفعل ذلك مع الألمان، ويرجع هذا إلى أنه زار بوشهر عام ١٨٩٣م، ولم يعين نائب القنصل إلا بعد رحلته بأربع سنوات، لكن ماكس يخلط بين مشاهداته وما جمع من معلومات بعد عودته لألمانيا، ويكتب في النهاية كتابه مزيجاً بين مشاهداته في الخليج ودراساته عن المنطقة في الوقت نفسه، دون الفصل بين الاثنين .

لنجة :

وصف لنا ماكس لنجة ــ دون أن يحدد تاريخاً لوصوله إليها ــ بأنها محطة للبواخر أقرب ما تكون للطابع الريفي مقارناً هذا ببوشهر، أما شوارعها فهي أكثر اتساعاً، بينما منازلها أقل ارتفاعاً في الوقت نفسه، ويبدو مشهدها من البحر رائعاً كقرية مليئة بحدائق النخيل .

أما عدد سكان لنجة في تلك السنة فقد قدره ب١٢٠٠٠ نسمة، ونقل هذا التعداد عن لسان مدير البريد الهندي بها، وهو شيخ أحمد هندي الموظف المسلم العامل في خدمة البريد البريطاني، ووصف مذهب أهلها ــ في أغلبه ــ بأنهم من السنة العرب، أما أصحاب النفوذ ــ وهم أقلية ــ فقد كانوا من الفرس الشيعة، وأما البراهمة فكان تعدادهم عشرين فقط، بينما كان العبيد والعتقاء بأعداد كبيرة، وهو هنا يميز بين سمرة البشرة والعبودية، ويبين أنه ليس كل أسمر البشرة من العبيد؛ فهو لون أصلي للعديد من أهل البلاد الأصليين القادمين من الجزيرة العربية، أما النساء فقد كن يضعن البرقع على وجوههن مثل أهل مسقط، وأما ملابسهن المنزلية فقد كان يغلب عليها اللون الأزرق، رغم أنه لم يحدثنا كيف شاهدهن بملابس المنزل، فهو لم يزر أياً من منازل الأهالي، أو على الأقل لم يسجل لنا هذا في زياراته .

ويمكننا هنا إدراك الدور الذي لعبه رجال البريد البريطانيين في المنطقة، فقد كان موظف البريد البريطاني هندي مسلم، وهو ما سهل له الإقامة في المنطقة، وقد قام هذا الموظف الهندي بإمداد ماكس بتعداد السكان في المنطقة، والمعلومات اللازمة عن مذهب أهل لنجة، بل وتحديد جنسياتهم، ومن هنا نرى مدى خطورة الدور الذي لعبه رجال البريد في لنجة، وهو ما يطرح عدة تساؤلات حول دور رجال البريد البريطانيين في المنطقة، فهل كانوا مصدرا للمعلومات لبريطانيا؟ هل لعبوا دورا في تزويد الحكومة البريطانية بمعلومات أكثر حول الأوضاع في المنطقة؟ إذا كان هذا الموظف البريطاني يصحب الأجانب الزائرين للمنطقة ويقدم لهم المعلومات والتفسيرات فهل لعب دورا ما في تقديم معلومات محددة للرحالة الأجانب من زائري لنجة؟، أسئلة يصعب الإجابة عليها ولكن في لنجة لعب هذا الموظف البريطاني الهندي الأصل هذا الدور فقد كان ملما بالمجتمع بالكامل من تعداده إلى مذاهبه، ورافق الأجانب وقدم لهم معلوماته عن الميناء وسكانه، وهو ما لا يمكننا تعميمه ما لم تكن هناك وقائع مشابهة لدى رحالة آخرين وجهات أخرى ربما تقدمها دراسات أخرى.

وكان صيد اللؤلؤ هو العمل الأساس للسكان إلى جوار التجارة، وكان اللؤلؤ المستخرج يشتريه التجار الهنود القادمون من بومباي وفقاً للحجم والوزن [١٥]، أما الصادرات فكان أهمها السجاد اليدوي المصنوع في كرمان ويزد وجنوب فارس .

ويصف لنا زيارته لميرزا إسماعيل خان نائب حاكم لنجة الخاضع لحاكم بوشهر في ذلك الوقت آغا سعد الملك، وكان يقيم في قصر كبير أصله قلعة برتغالية سابقة، ذات أبواب ضخمة، وقد وضع على مداخلها خمسة مدافع برتغالية مستخرجة من الماء يعلوها الصدأ، بينما كان الجنود يحملون بنادق ذات حشو أمامي، على حين كان الأهالي مسلحين ببنادق أفضل من طراز مارتيني وونشستر، وقد استضافه ميرزا في الطابق الأول في غرفة مفروشة بالسجاد والوسائد على طريقة أهل المنطقة، وحيث إنه كان على دراية بثقافة الضيف الغربية فقد وضع له بعض الكراسي خصيصاً، ووصف ميرزا بأنه شاب في مقتبل العمر كان يخضب شعره وشاربه باللون الأحمر المتوهج، ولم يصف لنا في مقابلته سوى المظهر من شعر ولون للشوارب ووسائد ممددة، ولم يذكر لنا شيئاً عن طبيعة الحديث الذي دار مع ميرزا .

ووصف لنا ماكس قصر الشيخ صالح القاسمي المجاور لقصر الحاكم، ووصفه بأنه قصر نصف متهدم، ولكنه هنا يعكس مرة ثانية طبيعة ثقافته عن أهالي المنطقة، فيقول : إنه " شيخ قبيلة عربية ميالة للحروب تدعى القواسم، يقيمون على الساحل العماني المقابل، ويمثلون شعباً من القراصنة سبقت له وقائع مشهورة مع الإنجليز "، ويبدو أن معلوماته كلها معدة سلفاً ، فلا هو الذي شاهد قرصنة، ولا التقى أحداً منهم، لكنه جاهز بأحكام عن أهل المنطقة من العرب، دون أن يسأل أو يتحرى أو يحاول التحري عن الحقيقة بحال .

بندر عباس :

لم يحدثنا ماكس عن رحلته لبندر عباس ولا كيف وصل إليها [١٦] ، لكنه فجأة بدأ يصف لنا الميناء ويحدثنا عن سكانه، ولا يفهم من هذا إن كان قد وصل للميناء أم شاهده من البحر؛ فلم يذكر نزل من السفينة كما فعل في بوشهر، بل كان يتحدث عن تأسيس الميناء على قرية "جومبرون " [١٧]التي كانت موجودة أمام هرمز وطرد البرتغاليين منها في التحالف البريطاني الفارسي [١٨] ، وفجأة بدأ يصف المدينة، وهو في أسلوبه يقارن دائماً ببوشهر التي أصبحت المقياس الذي يقيس به، فهي أصغر من بوشهر، وشوارعها أكثر اتساعاً، ومنازلها أقل اتساعاً .

في وصفه للحياة في بندر عباس يصفها بأنها أسوأ من بوشهر؛ فالحرارة أشد والرطوبة أعلى، لذلك يقصد السكان الجبال صيفاً، ومياه الشرب رديئة وخطر على الأوروبيين من أمثاله، ومياهها ضحلة تجعل السفن ترسو على بعد ثلاثة أميال من الشاطئ، رغم أنها محمية من الرياح وميناءها متسع، تحيط بها الحدائق، وخلفها تمتد الجبال العالية .

أما في داخل المدينة فرصد وجود بقايا الوكالات الهولندية والبريطانية القديمة، وقلاع البرتغاليين، والمدفعية الباقية من العصر البرتغالي حتى زيارته لها، بينما لا يوجد بها خط للتلغراف، رغم وجود محطة للبريد .

وقد زار ماكس الوالي محمد حسن خان ووصف قاعات الاستقبال مثلما فعل من قبل، حيث الوسائد والفرش [١٩]، ولم يخطرنا أيضاً بأي من الأمور التي دارت بينهما، أو يعلق على تصرفات هذا الوالي الفارسي .

أما السكان فكان غالبيتهم من العرب، وكانوا يسببون ــ حسب وصفه ــ القلاقل للحكومة بالاشتراك مع القبائل العربية، وقد كانت هناك قلاقل أثناء زيارته لبندر عباس، لكنه لم يذكر لنا شيئاً عن طبيعة هذه القلاقل أو كيف تمت مجابهتها، بينما ذكر أن ذلك كان مبرراً لتواجد عدد كبير من الجنود الفرس في بندر عباس، رغم وصفه لتلك القلاقل بأنها كانت " سائدة "، لكن ذلك مر مرور الكرام دون تعليق منه، وقد ذكر في معرض حديثه عن تاريخ المدينة أن الإمام أحمد بو سعيد استأجر بندر عباس من شاه فارس، وجدد العقد بشروط أصعب عام ١٨٥٦ لمدة عشرين عاماً، خضع بعدها الميناء للفرس اعتباراً من عام ١٨٧٦م، غير أنه لا يذكر العرب إلا بالقلاقل، ويلاحظ أن ما أورده من معلومات يختلف تماما عما أورده لوريمر عن أسواق بندر عباس، فقد ركز على لوريمر على حركة المبيعات في بندر عباس أكثر من غيرها [٢٠].

مسقط :

وصف ماكس مسقط بأنه الميناء العربي الوحيد الآمن في الموانى العربية وموانى الخليج الفارسي؛ حيث يمكن الحصول على الفحم في أي وقت، وتجد الأساطيل التجارية حتى الكبير منها مقراً آمناً من الأعاصير، وقد زودها البرتغاليون إبان حكمهم لها بعدد من القلاع التي تحيط بالمدينة، لعل أهمها القلعتان الغربية والشرقية .

القلعة الغربية : تدعى الميراني، وهي الأكثر أهمية، وهي مزودة بنظام دفاعي يتكون من مجموعة من المدافع الحديدية والبرونزية القديمة الأسبانية والبرتغالية، ومسجل في مدخلها على لوحة كبيرة بالبرتغالية أنه قد تم الانتهاء من بنائها عام ١٥٨٥م .

القلعة الشرقية : وتدعى الجلالي، ويسجل لنا أنها كانت مهجورة حين زارها، وقد أصابها الكثير من الدمار، ومكتوب عليها أنه تم الانتهاء من إنشائها عام ١٥٨٧م .

قصر السلطان : يحتل الجزء الأوسط من واجهة المدينة، ويتجلى فيه طابع الحداثة والفن، نوافذه خضراء موجهة للبحر، ويعود إلى عهد البرتغاليين، وينطلق من أمام القصر شارع عريض يؤدي إلى بوابة المدينة الجنوبية الغربية، ويقيم أقارب السلطان

على جنبي هذا الطريق في مبانٍ قديمة على هيئة قصور تربط بينهـا الجـدران، وعلـى واجهتها نوافذ صغيرة يزيد عدد بعضها على العشرة، فيها أطر صـناعية مـن الجـبس، تحمل مختلف أنواع الرسوم الزخرفية العربية، وتم تزويـد السـطوح بأسـوار مسـننة، وبالقرب من القصر يوجد قصر آخر قديم للسلطان [٢١] ، ويتفق تصوير ماكس مع ما جاء من تخطيط للمدينة في النصوص البرتغالية كما تصور الصورة المنشورة .

السلطان السيد فيصل بن تركي :

زار ماكس السيد فيصل بن تركي في قصره الكبير، ووصفه بأنه شاب فـي العقـد الثالث من العمر، أطول من المتوسط، ذو ملامح عربية جذابة، أنفه نحيف شديد الانحناء، شفاهه غليظة مثل الزنوج، أما عيونه وأسنانه فهي جميلة، وبشـرته سـمراء، وتبـدو الدماء الزنجية في ملامحه؛ إذ إن أمه من زنجبار، أما نساؤه فعددهن يتراوح ما بين ١٨ و٢٠ امرأة [٢٢] ، هنا نجد ذلك الحرص على إظهار السلطان بمظهر الرجل متعدد النساء ربما بشكل مبالغ، يرجع ذلك على استهواء القارئ الغربي لمثل تلك التصويرات، فقد كان من الصعب عليه أن يحصي نساء القصر، فغالبا لا يسمح للأغراب بالدخول على الحـرم أي مكان إقامة الحريم..

وحدد لنا ماكس الموضوعات التي تناقشوا فيها : فهي شؤون الدولـة والأسـفار، وأقارب السلطان، والزواج من امرأة واحدة، وقد أثار ماكس مسألة عدم وجـود قنصـل لألمانيا في مسقط، وهو حين ينقل لنا رؤوس الموضوعات لا ينقل تفاصيل الحديث؛ فلـم يذكـر لنـا مـا هي شؤون الدولة التي تحدثوا فيها، ولا ما هي مناسبة حديث السـلطان عن أقاربه، وهل تحدث عن مشكلات في الأسرة البوسعيدية ؟ وعن صراعات فيهـا ؟ أم كان مجرد حديث في الشؤون العائلية، وهو ما يصعب تصديقه بسبب طبيعة الزائر القـادم من ثقافة أخرى الغريب عن السلطان .

مساكن مسقط :

يصف لنا ماكس منازل مسقط بأنها مبنية من الحجر والآجر، وطرقاتها ضيقة جداً، وأسواقها نشطة كثيرة الحركة، يباع فيها سيوف بديعة أسهب في وصـفها، أمـا جميـع

رجالها فيحملون السلاح، بينما تضع النساء الأقنعة (البراقع) على وجوههن، وأغلب هؤلاء السكان من العرب، كما لو كان يزور بلداً غير عربي فوجد أغلب سكانه من العرب، وقد اختلط هؤلاء اختلاطاً كاملاً بالزنوج؛ حيث يستطيع ابن الزنجية العربي أن يرث أباه حتى في السلطنة، ويتعامل عربياً حتى لو كانت أمه أمة، وقدر عدد السكان ــ نقلاً عن جايكار ــ بأنهم ٤٠٠٠٠ نسمة [٢٣] ، وقد صنفهم إلى عرب وزنوج وبلوش [٢٤] وهنود وفرس، وقدر عدد الزنوج ب١٠٠٠٠ وفقاً لتقدير أحد المراجع سنة ١٨٨٥، ولم يعلق على الرقم من واقع مشاهداته، أما البلوش فلم يقدر تعدادهم، لكنه ذكر أنهم قدموا من الضفة الأخرى من الخليج، وكانوا يعملون عمالاً وخدماً وجنوداً، ويقيمون في أماكن خاصة أقل نظافة من مساكن العرب، أما الهنود فلم يتجاوز عددهم الخمسمائة هندي، وكان أغلبهم من الهندوس الذين كانوا يستطيعون الجهر بعقيدتهم، ويلقبون بالبنيان [٢٥] ، ويعيشون في عزلة تامة عن المجتمع، ويعرفون ببنيتهم الضعيفة وملابسهم المميزة، ولا يعملون إلا في التجارة، أما المسلمون من الهنود ــ وكانوا أقل مكانة ــ فكانوا طائفتين : الأولى هي الشوجة وتعدادهم حوالي ألف، والثانية هي الجط أو الزت [٢٦] وتعدادهم حوالي مائتين وخمسين نفساً، وأخيراً جاء الفرس الذين لم يكن عددهم يتجاوز المائتين، وكانوا صناع أسلحة وتجاراً صغاراً وحرفيين وصناع أنسجة حريرية بالدرجة الأولى .

كانت تلك هي مشاهدات ماكس فون أوبنهايم في الخليج وما سطره في رحلته حول موانى الخليج العربي، لكنه زود القارئ بمعلومات أخرى ليست من رحلته أو مشاهداته، بل إن بعضها يضم معلومات حدثت بعد رحلته؛ حيث عاد لألمانيا عام ١٨٩٤، على حين يذكر أحداثاً حدثت بعد ذلك بعدة سنوات عام ١٨٩٨م، لكنه استقاها من مصادر متعددة لعل أهمها هو ما استقاه من الوثائق البريطانية حول موانى الخليج بعد ذلك، منها جداول الحركة الملاحية لتلك الموانى وصادراتها وواردتها، وهي كالتالي :

جدول رقم (١)

أولاً ــ النشاط الملاحي في بوشهر [٢٧]

الجنسية	سفن شراعية			بواخر		المجموع	
	السنة	العدد	الوزن	العدد	الوزن	العدد	الوزن
بريطانية	١٨٩٣	٣٠	٢٤٠٠	١٠٧	١١٤٥٣٣	١٣٧	١١٦٩٣٣
	١٨٩٤	٣٥	٦٨٠٠	١١١	١٢٩٦٣٨	١٤٦	١٣٦٤٣٨
	١٨٩٥	٣٠	٢٤٠٠	١٣٢	١٧٠٤٣٤	١٦٢	١٧٢٨٣٤
	١٨٩٦	٢٢	١٧٦٠	١١٢	١٣٣٢٧٧	١٣٤	١٣٥٠٣٧
	١٨٩٧	١٨	١٤٢٠	٩٠	٩٨٤٩٤	١٠٨	٩٩٩١٤
تركية	١٨٩٣	٣٥	٢١٠٠	٢	٢٧٦٩	٣٧	٤٨٦٩
	١٨٩٤	٤٠	٦٤٠٠	٢	٢٦٦٨	٤٢	٩٠٦٨
	١٨٩٥	٣٥	١٧٥٠	١	١٣٨٩	٣٦	٣١٣٩
	١٨٩٦	٤٥	٢٢٥٠	٢	٢٢٠٠	٤٧	٤٤٥٠
	١٨٩٧	٥٠	٢٥٠٠	١	١٢١٥	٥١	٣٧١٥
فارسية	١٨٩٣	١١٥	٧٤٧٥	–	–	١١٥	٧٤٧٥
	١٨٩٤	١٥٠	٦٠٠٠	–	–	١٥٠٤٢	٦٠٠٠
	١٨٩٥	١٣٥	٥٤٠٠	–	–	١٣٥	٥٤٠٠
	١٨٩٦	١١٠	٤٠٠٠	–	–	١١٠	٤٠٠٠
	١٨٩٧	١٥٠	٤٥٠٠	–	–	١٥٠	٤٥٠٠
تابعة لمسقط	١٨٩٣	١٥	٢٢٥٠	–	–	١٥	٢٢٥٠
	١٨٩٤	٦٠	٦٠٠٠	–	–	٦٠	٦٠٠٠
	١٨٩٥	١٧	*١٧٠٠	–	–	١٧	١٧٠٠
	١٨٩٦	٢٥	#٢٢٥٠	–	–	٢٥	٢٢٥٠
	١٨٩٧	٢٠	٢٠٠٠	–	–	٢٠	٢٠٠٠
عربية	١٨٩٣	٢٥	١٢٥٠	–	–	٢٥	١٢٥٠
	١٨٩٤	٣٠	١٦٠٠	–	–	٣٠	١٦٠٠

الجنسية	السنة	سفن شراعية		بواخر		المجموع	
		العدد	الوزن	العدد	الوزن	العدد	الوزن
	١٨٩٥	٣٥	١٤٠٠	–	–	٣٥	١٤٠٠
	١٨٩٦	٤٠	١٦٠٠	–	–	٤٠	١٦٠٠
	١٨٩٧	٣٥	١١٢٥	–	–	٣٥	١١٢٥
نرويجية	١٨٩٣	–	–	–	–	–	–
	١٨٩٤	–	–	٦	٧٢٠٣	٦	٧٢٠٣
	١٨٩٥	–	–	١	٩٩٤	١	٩٩٤
	١٨٩٦	–	–	–	–	–	–
	١٨٩٧	–	–	–	–	–	–
فرنسية	١٨٩٣	–	–	–	–	–	–
	١٨٩٤	–	–	٢	١٠٠٠	٢	١٠٠٠
	١٨٩٥	–	–	–	–	–	–
	١٨٩٦	–	–	١٢	١٦٧٠٧	١٢	١٦٧٠٧
	١٨٩٧	–	–	١	٨٥٠	١	٨٥٠
ألمانية	١٨٩٣	–	–	–	–	–	–
	١٨٩٤	–	–	–	–	–	–
	١٨٩٥	–	–	٣	٣١٣٩	٣	٣١٣٩
	١٨٩٦	–	–	١	١٩٢٦	١	١٩٢٦
	١٨٩٧	–	–	–	–	–	–
هولندية	١٨٩٣	–	–	–	–	–	–
	١٨٩٤	–	–	–	–	–	–
	١٨٩٥	–	–				
	١٨٩٦	–	–	–	–	–	–
	١٨٩٧	–	–	–	–	–	–
نمساوية	١٨٩٣	–	–	–	–	–	–

الجنسية	السنة	سفن شراعية		بواخر		المجموع	
		العدد	الوزن	العدد	الوزن	العدد	الوزن
	١٨٩٤	–	–	–	–	–	–
	١٨٩٥	–	–	–	–	–	–
	١٨٩٦	–	–	–	–	–	–
	١٨٩٧	–	–	١	٨٣٥	١	٨٣٥
أمريكية	١٨٩٣	–	–	–	–	–	–
	١٨٩٤	–	–	–	–	–	–
	١٨٩٥	–	–	–	–	–	–
	١٨٩٦	–	–	–	–	–	–
	١٨٩٧	–	–	١	٩١٨	١	٩١٨
بلـــــدان أخرى	١٨٩٣	–	–	٢	٢٢٦٤	٢	٢٢٦٤
	١٨٩٤	–	–	–	–	–	–
	١٨٩٥	–	–	–	–	–	–
	١٨٩٦	–	–	–	–	–	–
	١٨٩٧	–	–	١	٩١٨	١	٩١٨
المجموع	١٨٩٣	٢٢٠	١٥٤٧٥	١١١	١١٩٥٦٦	٣٣١	١٣٥٠٤١
	١٨٩٤	٣١٥	٢٦٨٠٠	١٢١	١٤٠٥٠٩	٤٣٦	١٦٧٣٠٩
	١٨٩٥	٢٥٢	١٢٦٥٠	١٣٨	١٧٦٧٠٦	٣٩٠	١٨٩٣٥٦
	١٨٩٦	٢٤٢	١١٨٦٠	١٢٧	١٥٤١١٠	٣٦٩	١٦٥٩٧٠
	١٨٩٧	٢٧٤	١٢٤٦٣	٩٣	١٠١٣٩٤	٣٦٧	١١٣٨٥٧ [٢٨]

* تحت الراية الفرنسية .

أغلبها تحت الراية الفرنسية .

يوضح الجدول السابق النشاط البحري في بوشهر في العقد الأخير من القرن التاسع عشر، حيث سيطرت بريطانيا عليه تمام السيطرة ، وبلغت حركة السفن التجارية البريطانية ١٦٢ سفينة في أعلى معدلاته عام ١٨٩٥م ، منها ٣٥ سفينة شراعية و

١٣٢ سفينة بخارية، وبلغت كمية البضائع المنقولة ١٧٢٨٣٤ طناً، وربما يرجع وجود هذا العدد إلى وجود عدد من السفن المملوكة لهنود يرفعون علم بريطانيا .

أما الوجود التجاري التركي أقرب قوة في المنطقة فلم يتجاوز ٣٦ سفينة تجارية، منها ٣٥ سفينة شراعية، ومركب بخاري واحد، تنقل ٣١٣٩ طناً من البضائع، وهنا نجد الفارق الكبير بين الوجود التجاري البريطاني والوجود التركي الهزيل مقارنة بالقوة التجارية البريطانية، أما فارس صاحبة الميناء نفسه فلم تمتلك أي سفينة بخارية، وكانت تملك ١٣٢ سفينة شراعية، تنقل ٥٤٠٠ طناً من البضائع، أي أن قدرة النقل البريطانية كانت ٣٢ ضعف القدرة الفارسية، وأما السفن العربية بالمنطقة فلم يتجاوز عددها ٣٥ سفينة شراعية، تنقل ١٤٠٠ طناً من البضائع فقط، بخلاف ١٧ سفينة تنقل ١٧٠٠ طناً من البضائع، فإذا كانت السفن البريطانية وحدها تنقل ١٧٢٨٣٤ طناً من البضائع، وتنقل باقي البلدان مجتمعة ١٥٧٧٢ طناً من البضائع، أي ما يساوي حوالي ١١ ضعفاً مما تنقله سفن جميع دول العالم، فإن بوشهر كان ميناء بريطانيا بالدرجة الأولى، والحركة الملاحية فيه حركة بريطانية .

الجدول رقم (٢)

ثانياً ــ صادرات بوشهر بالروبية الهندية [٢٩]

السنه / البلد	١٨٩٣	١٨٩٤	١٨٩٥	١٨٩٦	١٨٩٧
بريطانيا	١٧١٩٧٧٠	١٧٥٤٣٧٠	٢٨٢٢٢٩٠	١٨١٤٠١٨	١٥٤٩٧٢٣
الهند	–	–	١٢٣٩١٩٠	١٢٩٩٩٢٨	١٢١٢٧٦٨
الهند الشرقية والمستعمرات	٢٥٥٣١٥٠	١٨٧٦٦٦٠	–	–	–
فرنسا	–	–	–	٢٠٤١٧	٤٠٧٢٣
ألمانيا	–	–	–	٣٢٨٠	١٢٤٨٥
النمسا	–	–	–	٥٧٦٣	٢٥٠
بلجيكا	–	–	–	٧٢٤٢	–
روسيا	–	–	–	–	١٥
روسيا	–	–	–	–	–

السنه / البلد	١٨٩٣	١٨٩٤	١٨٩٥	١٨٩٦	١٨٩٧
الآسيوية					
سويسرا	–	–	–	٢٥٥	–
اليونان	–	–	–	–	٤٩٢٨
مالطا	–	–	–	٢٩١٣٥	٦٣٠٢
بقية أوروبا	٥٢٢٨٠	٥٢٢٧٠	٢٨٦٤٠	–	–
تركيا	٣١٢٧٢٠	١١٣٢٦٢٠	٧٣٥٢٠٠	٣٨٥٧٤٢	١١٧٨٠١
مصر	٥٢٨٤٠٠	٤٢٤٥٠٠	٧٧٢٢٩٠	٤٦٩٦٦١	٢٤٤٩٣٥
لارناكا	–	–	–	٧٩٥٦	٢٥٤٨
الجزائر	–	٤٢٠	–	٥٤٤	–
عمان-مسقط	١٣٠٢٠	٢٥٨٧٠	٦٢٣١٠	٢١٠٣٢١	١٩٢١١٨
مسقط	–	–	–	–	–
البحرين والساحل العربي	١١٤٨٨٠	١٤٥١٦٠	١٠٢٦٩٠	١٤١٩٥٦	٦٣١٨٨
الموانئ الفارسية	–	–	٥٧٧٥٢٠	٣٥٦١٦٥	٢٣٨١٩٥
موريشيوس	–	–	–	–	–
زنجبار	–	٧٢٢٠	١٠٢٧٠	٦٥١١	١٠٠٨٢
هولندا ومستعمراتها	–	–	–	–	١٠٠٠
الصين	٢٩١٩٠٠٠	٤١١٦٤٩٠	٣١٦٨٤٨٠	٢٧٢٦٦٤٤	٢٥٨٣٣٦٠
أمريكا	–	–	–	٤٥٩	١١٠
المجموع	٨٢١٣٢٢٠	٩٥٣٥٥٨٠	٩٥١٨٨٨٠	٧٤٨٥٢٨٩	٦٢٨٠٥٢٦

من هذا الجدول يتضح لنا أن بريطانيا والهند معاً كانتا تستأثران بالصادرات الفارسية من بوشهر ، فقد استحوذت بريطانيا والهند معاً على ٤١% من تلك الصادرات سنة ١٨٩٦، بينما لم يتجاوز نصيب الساحل العربي ٠.٠٠٢% من تلك الصادرات، أما حركة التبادل بين بوشهر وباقي الموانى الفارسية فلم تمثل سوى ٠.٠٠٥% من صادرات بوشهر، وهو ما يبين أن الميناء يعمل بالدرجة الأولى لخدمة التجارة مع بريطانيا وتوابعها .

الجدول رقم (٣)

ثالثاً ــ واردات بوشهر بالروبية الهندية (٣٠)

السنة / البلد	١٨٩٣	١٨٩٤	١٨٩٥	١٨٩٦	١٨٩٧
بريطانيا	٧٧٣٩٣٨٠	٩٦١٣٩٦٠	١٢٢٣٥٠٠٠	٦٦٩٩٦٤٧	١٢٣٨٢٠٨٠
الهند	–	–	٤٤٦٤١٤٠	٣٩٠٣١٣٨	٣٣٣٦١١٠
الهند الشرقية والمستعمرات	٦٢٤٤٢٦٠	٦٩٩١٠٠٠	–	–	–
فرنسا	–	–	–	١٦٨٢٢١٧	٨٩٩٢٣٠
ألمانيا	–	–	–	٥٠٠	٣١٦٩٠
النمسا	–	–	–	٦١٤٩٥	٣٤١٤٠
بلجيكا	–	–	–	٥٥٥٤٠	١٢٢٢٠
روسيا	–	–	٥٠٠٠	٣٥٩٨٠	١٢٠٠٠
روسيا الآسيوية	–	٤٨٠٠٠	–	–	–
سويسرا	–	–	–	–	–
اليونان	–	–	–	–	–
مالطا	–	–	–	–	–
بقية أوروبا	١٢٣٢٧٥٠	٩٢١٨٣٠	–	–	–

السنة / البلد	١٨٩٣	١٨٩٤	١٨٩٥	١٨٩٦	١٨٩٧
تركيا	١٣٠٠٥٠	١٧٥٩٩٠	٤١٤٥٠٠	٤٤٢٨٦٧	٤١٣١١٠
مصر	٢١٠٤٠	٢٨٨٠٠	٢٥٠٢٠	–	١٦٩٦٩٠
لارناكا	–	–	–	–	–
الجزائر	–	–	–	–	–
عمان–مسقط	١٩١٧٠	٢٣٩٨٠	–	–	–
مسقط	–	–	١٦٠٠٠	١٥٤٢٣٥	١٧٩٥٠٠
البحرين والساحل العربي	٢٩١٦٠	١٢٦٧٠	٥٧٣٠	–	–
الموانئ الفارسية	–	–	٣٢٥٨٢٠	٢٥٢٤٢٩	٤٣٩٣٢٠
موريشيوس	–	–	–	٢٩٨٢	–
زنجبار	١٦٥٠٠	١٩٦٥٠	١٤٨٥٠	٢٠٤٠٠	٢٥٤٥٠
هولندا ومستعمراتها	–	–	–	–	–
الصين	٩٩٦٧٠	٢٢٨٥٥٠	١٤٤٨٧٠	٦٥٣٥٥	١٧٥٢٠٠
أمريكا	–	–	–	–	–
المجموع	١٥٥٣١٩٧٠	١٨٠٦٤٤٨٠	١٨٣٠٤٤٩٠	١٣٤٠١٠٨٠	١٨٣٢٥٢٢٧٠

من هذا الجدول يتضح لنا أن بريطانيا كانت أيضاً هي المصدر الأعظم لبوشهر، فقد استأثرت بما يساوي ٥٠% من واردات بوشهر، فإذا ما أضيف إليها الهند كان نصيبهما معاً ٧٩% من إجمالي الموردين لبوشهر عام ١٨٩٦م، أي أن بريطانيا ومستعمرتها المدللة الهند كانتا تستأثران بمعظم واردات بوشهر .

الجدول رقم (٤)

رابعاً ــ صادرات لنجة بالروبية الهندية [٣١]

السنة / البلد	١٨٩٣	١٨٩٤	١٨٩٥	١٨٩٦	١٨٩٧
بريطانيا	٩٧٠٠٠	٣٧٠٠٠	٤٨٠٠٠	٤٠٢٠٠	٤٨٩٠٠
الهند	–	–	٤٦٨١٦٠٠	٤٦٢٤٧٠٠	٤٢٧٠٣٤٠
الهند الشرقية والمستعمرات	٤٩٥٥٥٠٠	٤٤٨٤٧٠٠	–	–	–
تركيا	٥٣٥١٠٠	٥٥٨٢٠٠	٤٧٠٠٠٠	٣٢٧٤٠٠	٣٤١٩٠٠
عمان – مسقط	١٣٥٨٥٠	١٥٣٧٥٠	–	–	–
مسقط	–	–	١٠٨٣٠٠	٢٢٣٦٠٠	٢١٥٨٩٠
البحرين والساحل العربي	٣٥٥٢٤٠٠	٣٨١٩١٠٠	–	–	–
البحرين	–	–	–	–	٩٢٦٠٠
الساحل العربي	–	–	٢٩٠٧٦٠٠	٢٥٤٤١٠٠	٢٨٥٢٨٠٠
الموانئ الفارسية	–	–	٩٨٣٥٠٠	٩٠٧٧٠٠	٩٤٧٥٢٠
زنجبار	٩٧٠٠	٨٤٠٠	٥٣٠٠	٢٥٠٠	٥٥٠٠
المجموع	٩٢٨٥٥٥٠	٩٠٦١١٥٠	٩٢٠٤٣٠٠	٨٤٧٢٢٠٠	٨٧٧٥٤٥٠

من الجدول السابق نجد أن لنجة أيضاً كان ميناء في خدمة الملاحة والتجارة مع بريطانيا والهند، فقد استأثرت بريطانيا والهند معاً ب ٤٩.٢% من صادرات لنجة، أي ما يقرب من نصف صادرات لنجة، يليها الساحل العربي الذي استأثر ب ٣٢% من صادرات لنجة، وهو ما يعني أن العلاقات بالدرجة الثانية كانت مع الساحل العربي، فإذا كانت التجارة مع البحرين تحصل على ١% أخرى عندئذ يكون نصيب العرب من صادرات لنجة حوالي ٣٣% من صادراتها، وهي نسبة كبيرة مقارنة بصادرات بوشهر .

جدول رقم (٥)

خامساً ــ واردات لنجة بالروبية الهندية [٣٢]

السنة / البلد	١٨٩٣	١٨٩٤	١٨٩٥	١٨٩٦	١٨٩٧
بريطانيا	–	٦٣٠٠	١٥٠٠٠	٣٦٠٠	٩٣٥٠
الهند	–	–	٤٠٥٤٨٧٠	٢٦٥٩٥٥٠	٤٦٠٠٢٥٠
الهند الشرقية والمستعمرات	٤٩٧٧١٧٠	٥٥٠٨٥٠٠	–	–	–
تركيا	٥٥٣٨٠٠	٣٦٦٦٥٠	٢٨٤٩٥٠	٢٥٩٠٥٠	٤٠٥٤٠٠
عمان – مسقط	١٥٤٥٠٠	١٧٧٥٥٠	–	–	–
مسقط	–	–	١٧٤٩٠٠	٢٠٨١٠٠	٢٢٧٤٥٠
البحرين والساحل العربي	٣٨٨٧٦٠٠	٣٦٣٢٨٦٠	٣٨٠٠١٠٠	–	–
البحرين	–	–	–	١٨١٠٠٠	١٤٨٧٥٠
الساحل العربي	–	–	–	٣٣٥٢١٠٠	٣٢٨٣٧٥٠
الموانى الفارسية	–	–	٢٢٨٠٦٠	٥٥٣٠٦٠	٦٣٣٥٢٠
زنجبار	١٣٩٠٠	١٧٧٠٠	١٠٩٥٠	٨٩٠٠	١١٥٠٠
المجموع	٩٥٨٦٩٧٠	٩٧٠٩٠٧٠	١٠٥٦٨٨٣٠	٧٢٢٥٣٦٠	٩٣١٩٩٧٠

من الجدول السابق نجد أن بريطانيا والهند احتلتا المكانة الأولى في واردات لنجة سنة ١٨٩٧م؛ حيث كانت لنجة تستورد ٤٩% من وارداتها من الهند، بينما لم تتجاوز وارداتها من بريطانيا ٠.١%، لكن لأن الهند بريطانية فنصيب لنجة من الواردات يمثل ٤٩.١% من وارداتها من بريطانيا، على حين كانت وارداتها من الساحل العربي ٣٥% من مجموع وارداتها، وهو ما يوضح ارتباط لنجة بالساحل العربي .

جدول رقم (٦)

سادساً ــ صادرات بندر عباس بالروبية الهندية [٣٣]

السنة / البلد	١٨٩٣	١٨٩٤	١٨٩٥	١٨٩٦	١٨٩٧
بريطانيا	٣٠٠٠٠	١٢٥٠٠٠	٧٥٠٠٠	٤٠٣٠٠	٢٣٩٠٠
الهند	–	–	٤١٨٥١٧٠	٢٠٨٦٩٢٣	١٩٠٦٦٨٠
الهند البريطانية والمستعمرات	٢٧٣٨٨٢٠	٣٣٦٩١٢٠	–	–	–
فرنسا	–	–	–	–	–
بقية الدول الأوروبية	–	–	–	–	–
تركيا	٢٦٣٦٥٠	٢٧١٨٠٠	٢٩٠٣٣٠	١٣٠٢٥٤	١٤٦٥١٩
عمان – مسقط	٨٦٦٥٠	١٠٦٤٢٠	–	–	–
مسقط	–	–	١١٦٤٢٠	٩٨١٢٥	١١٨٠٥١
البحرين والساحل العربي	١٠٤٩٠٠	١١٣٦٢٠	–	–	–
البحرين	–	–	–	–	٢٠٧٤٦٠
الساحل العربي	–	–	١١٢٥٢٠	١٠٣١٠٠	١٠٥٠٨٥
الموانى الفارسية	–	–	١٢٩٧٠٠	٨٤٠٠٠	١١٩٥٧٧
زنجبار	٣٠٠٠	٣٠٠٠	٣٠٠٠	٤٣٠٠	٥٠٠٠
الصين	٥٩٤٤٠٠	٧٠٠٠٠٠	٨٧٣٦٠٠	٤٧٤٠٠٠	١٠٢٨٨٠٠
المجموع	٣٨٨٢٢٢٠	٤٧٥٨٩٦٠	٥٨٤٨٥٦٠	٣٠٦٢٥٠٢	٣٦٩٢٦٧٢

من الجدول السابق يتضح لنا أنه في عام ١٨٩٧ كان ٥٢% تقريباً من صادرات بنـــدر عباس يتجه لبريطانيا والهند، على حين لم تتجاوز صادرات بنـــدر عبـــاس ٢.٨% للســـاحل

العربي، مما يعني أن العلاقات التجارية لبندر عباس كانت علاقات تجارية بريطانيـــة فارســية صرفة، ولم تمثل العلاقات العربية الفارسية نصياً يذكر من صادرات بندر عباس .

جدول رقم (٧)

سابعاً ــ واردات بندر عباس بالروبية الهندية (٣٤)

السنة / البلد	١٨٩٣	١٨٩٤	١٨٩٥	١٨٩٦	١٨٩٧
بريطانيا	٩٨٨٠٠	٦١٥٠٠	٢٨٣٩٢٠	٦٤٧٩٦٣	١٠٣٢٢٧٥
الهند	–	–	٧٥٥١٩٥٠	٥١٥٣٣٣٩	٤٥٤٠٦٨٠
الهند البريطانية والمستعمرات	٥٩٠٢٣٣٠	٩٣٩٨٤٨٠	–	–	–
فرنسا	–	–	–	٢٠٤٠٠	٢٢٥٠٠٠
تركيا	٧١٨٥٠	٦١٠٥٠	١٩١٩٠٠	١٢٠٦٧٠	٧٣٥٠١
عمان – مسقط	٩٤٦٠٠	٨٤٤٤٠	–	–	–
مسقط	–	–	٩٤٥٨٠	٧٥٣٤٠	٧٢٥٠٠
البحرين والساحل العربي	٥٨١٥٠	٥٤٠٠٠	١٢٦٥٠٠	–	–
البحرين	–	–	–	–	١٥٠٠٠
الساحل العربي	–	–	–	٥٥٠٠٠	٦٦٦٠٠
الموانى الفارسية	–	–	٢٨٨٠٠	١٠٧٩٨٦	٧٦٩٠٠
زنجبار	٢٠٠٠	٣٠٠٠	٢٠٠٠	٣٥٠٠	٢٨٠٠
الصين	–	–	–	–	–
المجموع	٦٢٢٧٧٣٠	٩٧٥٦٩٧٠	٨٦٠٨٥٧٠	٦١٨٤١٩٨	٦١٠٥٢٥٦

من الجدول السابق نجد أن واردات بندر عباس كانت بالدرجة الأولى واردات بريطانية؛ فقد استأثرت بريطانيا ب ١٦.٩% من واردات بندر عباس، بينما احتلت الهند النصيب الأكبر؛ فقد بلغت ٧٤% من واردات بندر عباس، أي أن مجموع واردات بندر عباس من الهند وبريطانيا كان ٩٠.٩% من واردات بندر عباس سنة ١٨٩٧م، على حين لم يتجاوز نصيب بندر عباس من الواردات العربية ١.٣%، أي أن واردات بندر عباس لم تكن سوى واردات بريطانية .

جدول رقم (٨)

ثامناً ــ صادرات مسقط بالدولار * (٣٥)

السنة / البلد	١٨٩٣	١٨٩٤	١٨٩٥	١٨٩٦	١٨٩٧
الهند			٩٠٧٧٠٠	١٢٢٥٨٠٠	١٣١١١٢٠٠
بريطانيا	–	–	–	–	–
فرنسا			–	–	–
أمريكا	–	–	–	–	–
تركيا الآسيوية	–	–	١٠٥٠٠٠	١١٠٠٠٠	٧٠٠٠٠
بلاد فارس			١١٩٥٠٠	١٣٥٠٠٠	١٥٢٠٠٠
الخليج الفارسي			٣٠٨٠٠	١١٦٠٠٠	٤٣٠٠٠
البصرة وسواحل مكران	–	–	–	–	–
جنوب البلاد العربية وأفريقيا			–	–	–
زنجبار	–	–	١٥٧٥٠٠	١٦١٥٠٠	١٦١٥٠٠

السنة / البلد	١٨٩٣	١٨٩٤	١٨٩٥	١٨٩٦	١٨٩٧
وشرق أفريقيا					
الولايات المتحدة وموريشيوس وسنغافورة	–	–	–	–	–
بلدان أخرى			٩٨٩٥٠	٦١٠٠٠	٩٦٨٠٠
المجموع	١٧٢٠٣٢٠	١٦٢٨٥٨٠	١٤١٩٤٥٠	١٩٠٩٣٠٠	١٨٣٤٥٠٠

من الجدول السابق نرى أن الهند قد استأثرت بما يساوي ٧١% من صادرات مسقط، ورغم اختفاء بريطانيا تماماً من جدول الصادرات إلا أن ذلك لا يعني بحال من الأحوال توقف العلاقات التجارية بين مسقط وبريطانيا؛ فقد كانت الهند هي الوجهة الأولى لصادرات مسقط، ومن ثم تمثل بريطانيا تجارياً وعملياً، أما نصيب الخليج العربي ككل من تجارة مسقط فلم تتجاوز ما قيمته ٠.٢% من صادراتها .

جدول رقم (٩)

تاسعاً ــ واردات مسقط بالدولار [٣٦]

السنة / البلد	١٨٩٣	١٨٩٤	١٨٩٥	١٨٩٦	١٨٩٧
الهند	١٤٩٨٩٠٥	١٥٣٥٦٠٠	١٦٨١٤٠٠	١٦٤٠٠٠٠	٢٢٢٦٥٠٠
بريطانيا	–	–	١٦٠٠٠٠	٨٠٠٠٠٠	٩٠٠٠٠٠
فرنسا	–	–	–	٥٠٠٠	١٠٠٠٠٠
أمريكا	–	–	٢٥٠٠٠	٢٩٠٠٠	٢٧٠٠٠
تركيا الآسيوية	–	–	١١٥٠٠٠	٦٧٥٠٠	٦٩٠٠٠

السنة / البلد	١٨٩٣	١٨٩٤	١٨٩٥	١٨٩٦	١٨٩٧
بلاد فارس	–	–	٢١٧٧٠٠	٢٤٣٠٠٠	١٤٥٠٠٠
الخليج الفارسي البصرة وسواحل مكران	٣١٣١٤١	٣٣٥٠٣٠	–	–	–
جنوب البلاد العربية وأفريقيا	٢٢٧١٨٠	١٩١٧٧٠	–	–	–
زنجبار وشرق أفريقيا الولايات المتحدة وموريشيوس وسنغافورة	١٥٧٨٠	١٧٢٠٠	–	–	–
بلدان أخرى	–	–	٨٩٦٦٠	٥٠٠٠٠	٧٠٠٠٠
المجموع	٢٠٥٥٠٠٦	٢٠٧٩٦٠٠	٢٢٨٨٧٦٠	٢٨٧٩٥٠٠	٣٥٣٧٥٠٠

من الجدول السابق نرى أن الهند وبريطانيا استأثرا معاً بواردات مسقط؛ فقد بلغ نصيبهما ٨٧%، احتلت بريطانيا منها ٦٢%، بينما بلغ نصيب الهند ٢٥%، أما الجانب العربي والخليج الفارسي فقد بلغ نصيبه صفر% من واردات مسقط، أي أنه لم تكن هناك أي صادرات عربية لعمان، وهو ما يعكس توقفاً كاملاً للعلاقات التجارية بين مسقط وباقي البلدان العربية في الخليج عام ١٨٩٧م .

الخاتمة :

لقد صور ماكس فون أوبنهايم موانى الخليج الأربعة التي مر بها على أنها موانى صغيرة تكاد تكون قرى أو مرافئ صغيرة غير صالحة لرسو السفن باستثناء مسقط، حيث لا يمكن لأصغر السفن البخارية دخول موانيها، أما تلك الموانى وبتتبع نشاطها التجاري والبحري فنجد أنها كانت تحت السيطرة البريطانية الكاملة؛ إذ كانت تخدم الصادرات والواردات مع بريطانيا والهند، حتى حركة نقل البضائع بين الموانى الفارسية كانت أقل من الصادرات والواردات مع الموانى البريطانية والهندية، كما قامت السفن البريطانية بنقل معظم البضائع في معظم هذه الموانئ .

أما الحياة في هذه الموانئ فلم تكن سهلة بالنسبة للأوروبيين كما صور ماكس، لذلك كان معظم البريطانيين العاملين في بوشهر من أصول عربية أو هندية، وينطبق الحال على باقي الموانئ، وقد شهد ماكس على السماحة الإسلامية في الخليج حيث كان غير المسلمين أحراراً في ممارسة شعائرهم سواء أكانوا من المسيحيين أم الهندوس، وهي السمة الغالبة في كل الموانئ الخليجية التي زارها .

وقد رصد ماكس الوجود العربي على الضفة الفارسية في لنجة وبوشهر، وكيف أن أغلب السكان في بندر عباس من العرب، والأقلية من الفرس، ورغم ذلك يتحدث عن العرب عنصراً مثيراً للشغب وليس كأغلبية سكانية عربية في الموانى الواقعة على الضفة الفارسية .

أما كتابات ماكس فكانت مصدراً لدراسة تاريخ الموانى في الخليج الفارسي بل مصدراً لكتابة التاريخ فإنه يجب التعامل معها بحرص شديد؛ حيث خلط ماكس بين مشاهداته وبين قراءاته عن المنطقة، ومن ثم لا تصلح المذكرات ككل مصدراً، فهناك أحداث تمت بعد رحيله عن المنطقة بعدة سنوات يكتبها كما لو كان شاهد عيان، ولم يكن سوى مسافر على سفينة بخارية قطعت الخليج في طريقها على زنجبار، وقد نزل في الطريق في عدة موانى قابل بعض الأشخاص فيها وكتب عن مشاهداته القليل والكثير عن المنطقة، وبالتالي يجب أن نفصل بين ما رآه بنفسه وما كتبه عن المنطقة، فقد زار مسقط سنة ١٨٩٣م، لكنه يكتب عن اليعاربة والبرتغاليين، وعن تأسيس الدولة البوسعيدية، وعن الرحالة الذين سبقوه في المنطقة، وكان أحياناً ما يشير للمصادر التي استقى منها معلوماته وأحياناً لا يشير .

هكذا لا تمثل رحلة ماكس فون أوبنهايم للخليج مصدراً أولياً كافياً لإمداد الباحث بشهادة شاهد كاملة حول المنطقة، ولا ينطبق ذلك على باقي رحلته حيث قضى فترات أطول في الشام وباقي البلاد، وتعتبر أعماله من روائع كتابات الرحالة والدارسين بل المستشرقين الدارسين لتاريخ الشرق عموما، ولكنه في الجزء المتعلق بموانى الخليج يخلط شهادته بانطباعاته وآرائه وأراء الآخرين، فقد كتب وفي ذهنه معلومات مغلوطة – شأنه شأن الغربيين في تلك الفترة – عن العرب والقرصنة، ورغم أنه لم يشاهد أي قرصنة أو يرى أعمالا عربية غير مقبولة إلا أنه لم يتردد في أكثر من موضع بتذكيرنا بتلك الافتراءات المترددة في الكتابات الغربية عن عرب الخليج .

وتعكس رحلة ماكس الدور الذي لعبه الرحالة الألمان الأوائل في رحلاتهم للمشرق العربي بوجه عام وللخليج العربي بشكل خاص، فلم يكن مطلوبا منهم سوى تصوير الأوضاع في تلك المناطق كخدمة للرأسمالية الألمانية النازعة لاستعمار تلك المناطق حتى ولو خالف ذلك السياسة الرسمية، لذلك نجد حرص ماكس على تصوير الصادرات والواردات في موانى الخليج التي مر بها، كما نجد حرصه الدائم على رصد حركة الملاحة، وطبيعة الموانى، فهو ليس رحالة ولكنه راصد لطبيعة الحركة البحرية ولاقتصاد تلك المناطق التي لم تحتل بعد من بريطانيا، لتقديم مسرح مناسب للتدخل الألماني، ومناطق محتملة للنفوذ الألماني في المنطقة، وكانت دراساته هي المرجع الذي كان يرجع إليه الساسة للتعرف على أحوال المنطقة قبل التدخل فيها. إنها دراسات تهدف لمصلحة بلاده، وليست عشوائية ولا علمية بحتة، ولكن الهدف منها مساعدة بلاده في تحقيق مصالحها الخارجية.

المراجع :

(١) – د. فراوكة هيرد باي ، التحديات الواقعة والمتخيلة لوضع بريطانيا في الخليج ، منشور في : كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج عبر العصور ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، دبي ، ١٩٩٦ ، ص٢٥٨ .

(٢) – د. عبد الحميد البطريق، التيارات السياسية المعاصرة، (١٨١٥– ١٩٧٠)، دار الفكر العربي ، القاهرة، ١٩٩٦، ص١١٧ .

(٣) – د. فتحية النبراوي، محمد نصر مهنا، الخليج العربي، دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والإقليمية، منشأة المعارف بالاسكندرية، ١٩٨٨، ص٢٩٢ .

(٤) – يحيي محمد محمود، الخليج في دراسات المستشرقين في أوائل القرن العشرين، منشور في: المستشرقون والدراسات العربية والإسلامية، ، ٢٠٠٦جامعة المنيا، مصر، الجزء الرابع، ص١٢٤٣ .

(٥) – كرومر (إفلنج بارنج): المندوب السامي البريطاني في مصر، تتلمذ في مدرسة الهند الاستعمارية البريطانية حيث خدم في البداية، عمل مديرا بريطانيا لصندوق الدين، ثم عين مندوبا ساميا بريطانيا في مصر، نظم كرومر الإدارة الاستعمارية البريطانية في مصر، لمزيد من التفاصيل: د. يحيي محمد محمود، الدين العام وأثره في تطور الاقتصاد المصري (١٨٦٧ –١٩٤٣)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩، د. ماجدة محمد حمود، دار المندوب السامي في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩.

(٦) – حدثت مواجهة بين مصر وتركيا بشأن الحدود المصرية الفلسطينية عام ١٩٠٦، حيث ادعت الدولة العثمانية أن طابا جزء من فلسطين بينما أصرت مصر على أن طابا أراض من مصر ، لمزيد من التفاصيل ن أنظر: د. يونان لبيب رزق، الأصول التاريخية لمسألة طابا، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، سلسة مصر النهضة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠. .

(٧) – كانت فارس في تلك الفترة تحت حكم ناصر الدين شاه ، رابع حكام الأسرة القاجارية ، الذي حكم فارس في الفترة من ١٨٤٨– ١٨٩٦ ، انظر : طلال مجذوب ، إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية ، ١٩٠٦– ١٩٧٩ ، دار ابن رشد للطباعة والنشر ، ١٩٨٠ ، بيروت ، ص٩ .

(٨) – ماكس فون أوبنهايم ، رحلة ماكس فون أوبنهايم من البحر المتوسط إلى الخليج العربي ، ترجمة : عبد الكريم الجلاصي ، ص٣٢٥ ، مركز الوثائق والبحوث ، أبو ظبي ، ٢٠٠٢م .

* ترجم هذه الطبعة من الكتاب السيد: عبد الكريم الجلاصي، مترجم تونسي، درس الاقتصاد وتخرج من جامعة براون شفايج بألمانيا، ثم درس الترجمة في جامعة ماينز وتخرج من قسم الترجمة بها عام ١٩٧٩م، قام بالعديد من الترجمات من الألمانية إلى لعربية، منها هذا الكتاب بالإضافة إلى كتاب نيبور: وصف البلاد العربية، وقد ترجم الكتاب ونشر تحت إشراف مركز الدراسات الوثائقية التابع لديوان رئيس الدولة في أبو ظبي الذي تولى النشر أيضا.

(٩) – ماكس فون أوبنهايم ، المصدر نفسه ، ص ٣٢٦ .

(١٠) – حول الطبيعة الجغرافية لموانى الخليج انظر : د. محمد متولي ، حوض الخليج العربي ، ح٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص٤٨٢ ، ويتوافق وصف ماكس لتلك الموانى مع ما جاء بالمراجع المتخصصة .

(١١) – ماكس فون أوبنهايم، المصدر نفسه ، ص٣٢٦ .

(١٢) – ماكس فون أوبنهايم، المصدر نفسه ، ص٣٢٨ .

(١٣) – ماكس فون أوبنهايم، المصدر نفسه ، ص٣٢٩ .

(١٤) – ماكس فون أوبنهايم، المصدر نفسه ، ص٣٣١ .

(١٥) – لمزيد من التفاصيل حول العلاقات بين الخليج والهند انظر : العلاقات التاريخية بين الخليج العربي وشبه القارة الهندية ، مركز الدراسات والوثائق ، رأس الخيمة ، ٢٠٠١ .

(١٦) – تبلغ المسافة من بوشهر إلى بندر عباس حوالي ٦٠٠ كيلو متر ، لمزيد من التفاصيل انظر : د. محمد متولي ، حوض الخليج العربي ، ج١ ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص٢٤٢ .

(١٧) – حول تأسيس بندر عباس انظر : د. على عبد الله فارس ، شركة الهند الشرقية البريطانية ودورها في تاريخ الخليج العربي (١٦٠٠– ١٨٥٨) ، مركز الدراسات والوثائق ، رأس الخيمة ، ٢٠٠١ ، ص١١٥ .

(١٨) – كانت جمبرون جزءاً من عطاء الشاه للشركة البريطانية في أعقاب التحالف البريطاني الفارسي ضد البرتغاليين ، لمزيد من التفاصيل انظر : د. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم ، حكومة الهند البريطانية ، ط١ ، ١٩٨١ ، الرياض ، ص٧٦ .

(١٩) – ماكس فون أوبنهايم ، المصدر السابق ، ص٣٣٦ .

(٢٠) – لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج ١، طبعة قطر، ص٢٠٠ .

(٢١) – ماكس فون اوبنهايم ، المصدر نفسه ، ص٣٤٣ .

(٢٢) – ماكس فون اوبنهايم ، المصدر نفسه ، ص٣٤٣ .

(٢٣) – جايكار ضابط بريطاني من أصل هندي من البراهمة اعتنق المسيحية ، ظل الساعد الأيمن للمندوبية البريطانية في مسقط ، كان يتحمل الإقامة في شهور الصيف الصعبة التي لا يستطيع أوروبي البقاء فيها ، وكانت طبائعه إنجليزية خالصة وزيه أوروبي تماماً .

(٢٤) – لمزيد من المعلومات حول قري البلوش انظر : جورج رنس ، عمان والساحل الجنوبي للخليج ، ط١ ، ٢٠٠٣ ، ص١٧٩ .

(٢٥) – لمزيد من المعلومات حول الحياة الاجتماعية للبنيان في الخليج انظر : د. نوره محمد القاسمي ، الوجود الهندي في الخليج العربي، (١٨٢٠– ١٩٤٧) ، الشارقة ، ١٩٩٦ ، ص٢١٠ .

(٢٦) – حول الزت في التاريخ انظر : د. عبادة محمد كحيلة ، الزت ، دار عين للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٨.

(٢٧) – مصدر الجدول : التقـارير الإداريـة البريطانيـة ١٨٩٣/١٨٩٤ ، ص٢٩ ، ١٨٩٤/١٨٩٥ ، ص٣٠ ، ١٨٩٧/١٨٩٨م ، ص٣٦ ، نقلاً عن ماكس فون أوبنهايم ، المصدر نفسه ، ص٣٢٧ .

(٢٨) – انخفض النشاط التجاري في الخليج في هذا العام بسبب تفشي وباء الطاعون في الهنـد سـنة ١٨٩٦ ، وقد ارادت روسيا التدخل في شؤون بوشهر بحجة تعيين وكلاء صحيين لها في بوشهر ، انظر: لفتنانت كولونيل سير أرنولد ت ويلسون ، ترجمة : محمد أمين عبد الله ، تاريخ الخليج ، دار الحكمة ، لندن ، ص١٩٥ .

(٢٩) – مصدر الجدول : التقارير الإدارية البريطانيـة ، ١٨٩٤/١٨٩٥ ، ص٣٠ ، ١٨٩٧/١٨٩٨م ، ص٣٥،٢٧ ، نقلاً عن ماكس فون أوبنهايم ، المصدر نفسه ، ص٣٣٠ .

(٣٠) – مصدر الجدول : التقارير الإدارية البريطانيـة ، ١٨٩٤/١٨٩٥، ص٣٠ ، ١٨٩٧/١٨٩٨م ، ص٣٥،٢٧ ، نقلاً عن ماكس فون أوبنهايم ، المصدر نفسه ، ص٣٣٠ .

(٣١) – التقـارير الإداريـة البريطانيـة ، ١٨٩٣/١٨٩٤ ،ص٣٥ ، ١٨٩٤/١٨٩٥ ، ص٣٠ ، ١٨٩٧/١٨٩٨م ، ص٤٨،٤٢ ، نقلاً عن ماكس فون أوبنهايم ، نفسه المصدر ، ص٣٤٣ .

(٣٢) – التقارير الإدارية البريطانية ، ١٨٩٤/١٨٩٥ ، ص٣٥ ، ١٨٩٧/١٨٩٨م ، ص٤٨،٤٢ ، نقلاً عن ماكس فون أوبنهايم ، المصدر نفسه ، ص٣٣٥ .

(٣٣) – التقارير الإدارية البريطانية ، ١٨٩٤/١٨٩٥ ، ص٣٧ ، وعام ١٨٩٧/١٨٩٨م ، ص٥٦،٥٢ نقلاً عن ماكس فون أوبنهايم ، المصدر نفسه ، ص٣٢٧ .

(٣٤) – التقـارير الإداريـة البريطانيـة ١٨٩٣/١٨٩٤ ، ص٢٩ ، ١٨٩٤/١٨٩٥ ، ص٣٠ ، ١٨٩٧/١٨٩٨م ، ص٣٦ ، نقلاً عن ماكس فون أوبنهايم ، المصدر نفسه ، ص٣٢٧ .

(٣٥) – التقارير الإدارية البريطانيـة ١٨٩٤/١٨٩٥ ، ص٥١،٥٣ ، ١٨٩٧/١٨٩٨م ، ص٩٣/٩٤ ، نقلاً عن ماكس فون أوبنهايم ، المصدر نفسه ، ص٣٢٧ .

* الدولار يساوي ما بين ٢ و ١،٦ روبية .

(٣٦) – التقـارير الإداريـة البريطانيـة ١٨٩٣/١٨٩٤ ، ص٢٩ ، ١٨٩٤/١٨٩٥ ، ص٣٠ ، ١٨٩٧/١٨٩٨م ، ص٣٦ ، نقلاً عن ماكس فون أوبنهايم ، المصدر نفسه ، ص٣٢٧ .